

العزلة في رأس الجبل

تقاس بين ناسك وصحفي

٦ - مرة ما انتطع

من ينفع من الحرب

في صباح اليوم الثالث بعد أن تناولنا القطور وجلسنا بجلسنا المعتاد . قلت : لم أتم ماجلاً لأنني لم أتموه النوم قبل المزيغ الثاني من الليل ، فأرقت نحو ساعة كانت فيها فكرة الحرب تجول في خاطري .

قال : الحرب ؟ الحرب ، وفي الله المدينة منها ، انها انتحار المدينة الككرانة بضمرة انتصارها على الطبيعة .

قلت . يقولون : الحرب احتدام تنازع البقاء . فهي إذن سنة طبيعية لا بد منها . قال : نعم ، هي سنة طبيعية فقط . لاسنة اجتماعية أيضاً . بل تلك تقيض هذه . ولم تزل الحرب تحدث الى اليوم على الرغم من تقدم النوع البشري اجتماعياً . لأن غريزة التنازع لا يزال غالبية فيه . لا يزال الانسال وحشي الطبع أكثر مما هو انساني الملتقز . وعلى الرغم من أن الحرب كانت قديماً حرفة الشيوخ والامراء والمرك لأجل السكب ، فما كانت في زمن من الأزمان مكسبة بل كانت خائرها على الغالب أكثر من أرباحها . كان كدر لعومر الملك البابلي يفزو كل سنة أمة من الأمم . ففزا نحو ٢٥ غزوة . وكان يفرض الجزية على البلاد التي يفلها . فكان هو شخصياً يتعم بأرباح النصر . ولكن شعبه لم ينل من انتصاراته ما يساوي خسائره في الحرب . و نابوليون اجتاح أوروبا في مدة بضع عشرة سنة وسيطر عليها . فهل حصلت حال الشعب الفرنسي من جراء انتصاراته ؟ ما كانت حروب نابليون الأفتكاً بالشبيبة الفرنسيات و صائر الشبيبة الأوربية .

ادرس جميع حروب التاريخ تجد أنها كانت تقضي الى نفس هذه النتيجة . خسارة

فظيمة لعنات تتخرب حياً هي جنود بشرى مطبق . تنازع الحيوانات رحمة إذا
قورن سد من الألسان ، لأنه بقدر ما اوتى الإنسان ارتقت ذنوب تنازعه بحرقه
الهلاك رقت

قلت : ترى ، ألا يفهم الناس ولا سيما ساستهم هذه الحقيقة الناصحة التي تعضت بشيائها
قال : ضلوا انفراد الأعظم منهم يفهمونها . ولكن الذين يشيرونهم الآلة -
الآلة قنين عنتهم ابن آدم . راجع ميثولوجيا اليونان والرومان حتى الميزان نجد أن
الحروب كانت سر الآلة وبتوردهما البشر . ولا يزال كذلك حتى اليوم .
استخرت آلهة هذا وقت : أجل كانت بعض آلة اليونان والرومان وغيرها تحارب
بعضها بعضاً . ربكني لا أرى صلة بين حربها وحروب البشر .

قاله بلى . حتى آلهة المصريين والفلسطينيين والكنعانيين وغيرهم كانت تتحارب
حروباً عنيفة وتقع ويلاتها على اولئك الشعوب . لا نجبل أن موسى لم يخرج بني اسرائيل
من أرض مصر إلا بعد أن حارب إلهة المصريين وضربهم عشر ضربات . لم تستطع آلهة
المصريين رددها فكان موسى يندوب رب اسرائيل وكمنة مصر وسحرها مندوبي آلهة مصر .
فغلب إله موسى آلهة فرعون . ولما دخل الاسرائيليون أرض الميعاد كان يهوه (إله اسرائيل)
رب الجنود المقتدرية حنرا ليمسح بحارب آلهة الفلسطينيين والكنعانيين والحثيين الخ .
وكان كلما غضب يهوه على بني اسرائيل لسبب زيفانهم عنه سلط عليهم هؤلاء ، حتى إذا
تابوا عاد فأشدهم . وحكاية سقوط اريحا وايقاف الشمس يوماً وغير ذلك ترىنا كيف أن
يهوه كان يحارب مع اسرائيل .

ولما غلب الفلسطينيون بني اسرائيل فغمرهم منهم تابوت العهد وأودعوه في هيكل
إلههم داجون . ولكن يهوه رب جنود اسرائيل أقوى من داجون ، فلم يسمح بأن يكون
تابوت عهده بين أيدي أعدائه . ففي صباح اليوم التالي وجدوا تحتال داجون واقفاً عند
أرجل تابوت العهد . فأوقعوه ثم وجدوه في اليوم الثالث واقفاً محطماً . فخافوا من قدرة
إله اسرائيل الذي غلب إلههم ، فردوا تابوت العهد إلى أصحابه .

فترى ، من هذه الأساطير العبرانية أن الآلة منذ القديم كانوا يتحاربون بجنود رعاياهم

ولهذا كان الأمر تليقون يلتقون إلههم « رب الجنود » أي إله حرب يهودهم في جميع
حروبهم.

قلت : طبعاً هذه ميتولوجيا أي أساطير قديمة . أما الآن ...
فقطاطني فائلاً الآن ككل زمان ، لا يزال الأطله تحارب حروباً شراً من الحروب
القديمة . راجع تواريخ الحروب القديمة والحديثة تجد معظم أسبابها دليلاً مباشرة أو غير
مباشرة ، أي أنها صادرة من شهوات نفسانية ، ولكنها كانت تتوارى وراء قايات دينية
ظاهراً أو باطناً .

لظالمات الحرب لأجل العقائد الدينية وكانت أشهرها الحروب الصليبية . وحتى العصر
الأخير ما زال الحلال والسلب يتحاربان . ففي حرب البلقان كان ملك اليونان يطوف في
مركبته في الشوارع وأيقونة المصلوب على صدره يستفز بها الشعب للقتال
ولما فترت العرة الدينية عند أمم الغرب أنشأ أهلة العصر ديناً جديداً تنفاني لأجله الأمم
هو دين « الوطن » ، فكان شراً من الديانات السحرية في تضحية شبكات الشعوب على مذبح
أهله .

ومع ذلك لا يزال الكهنة حتى الآن يرافقتون الجيوش ، حتى الكهنة الذين يتلون
الآلهة القائل : « لا تقامرنا الشر بالشر بل من لطمك على خدك الأيمن حول له الأيسر » .
ولا يزال رجال الدين الروحيون يصلون إلى الله أن ينصر جنودهم على أعدائهم . مع أن
إلههم الآن يختلف عن إله إسرائيل . يهوده رب الجنود بأنه إله صوملي للجميع الأمم على
السواء . ولذلك يسمون الله الآن في مأزق حرج لم يضع بنو إسرائيل يهوده في مثله . لأن
الله العام أصبح لا يدري أي العديين يستجيب صلواته

وبعض المؤمنين الذين يستهجنون هذا المنطق المتناقض يذيعون دعاية السلم ضد الحرب
حتى ولو كان بانتسليم للعدو عملاً بقوله « أحبوا أعداءكم باركوا لاعينكم » ، على أن أحدهم
أخذ إذناً من الله رب الجميع أن يترك سياسة « حول خدك الأيسر » ويعود إلى دستور
يهوده رب الجنود .

فقد روي في الكيريكيا وبليسيا كتب لسجين مسجون بسبب دمايته للعلم ضد الحرب يقول لا...

٥ تسأني : من المسيح إلى حرب ؟ فأجيبك : اقرأ سفر يشوع الاصحاح الخامس عدد ٥ : (١) والاصحاح السادس (٢) فترى أن يسوع جاء الى العالم لكي يكون قائداً حريصاً على شعب اسرائيل . وصفات يسوع لم تتغير حتى اليوم . وعقبة يسوع على الجليل انها هي دستور المملكة الجديدة . ولكن لما رأى الله أن الناس رفضوا هذا الدستور الجديد اضطر أن يرجع الى دستور العهد القديم (٣) بصفة كونه يهود وب الجنود لكي ينصر شعبه على أعدائه . انتهى كلام الاكيريكي ابوليسي .
فأي الخصمين هو شعب الخامس الذي ينبغي أن ينصره ؟

وقيادة يهود يثير الحرب الآن آلهة ميثولوجيا العصر التي أشرنا إليهم سابقاً مثل : اسكندر ، وهانيبال ، وقصر ، وجنكيزخان ، وشارلمان ، و نابوليون ، و غليوم ، ومرسوليني ، و هتلر . الخ . كل هؤلاء كانوا آلهة يتمسكهم الجيش ويعظمهم الجمهور . وبعد دهر من الزمان يصبحون آلهة كعريتر ومارس ونبتون .

قلت : ولكن ما فرض هؤلاء القواد الحريين الذين تسميهم آلهة من هذه الحروب المضنية التي تربو خسائرها على أربابها ، وما المراض لهم عليها ؟

قال : المرض والمراض شيء واحد هو اشباع شهوة السودد في أنفسهم . هي أقوى شهوة في الانسان . متى تسبع الانسان من غذائه الجسدي جاع الى غذائه النفساني وهو هذا السودد الذي يشمل الجهد والقوة والجبروت .

قلت : ولكن حروب اليوم لم تعد تجدي كحروب الامس . أفلا ينظن هؤلاء الآلهة الشهوانيون أن حروبهم خاسرة على كل حال ؟

(١) قال رئيس جنه الرب ليدوع ايلع نبيك من رجلك لار للكان اتي انت وانك به منصر . فصل يشوع كذلك

(٢) الاصحاح السادس : كانت اريحا مفتحة بسبب بني اسرائيل لا أحد يخرج ولا أحد يدخل . فقال الرب ليشوع . انظر لقد دفعت الى يدك اريحا وملكها حيازة الباس . تدورون دائرة المدينة جميع رجال الحرب . الى آخر حكاية سقوط اريحا بصوت رب الجنود

(٣) دستور عهد يهيا ومن بين

قال : الى الآن لم نزل شهوراتهم تعمي البصار ثم فهم يخترزون عند نيتهم التي تطلق عليهم من حسات علومها آلات الحرب المهندسية المنجية . ان الحيرانات الصغراء صفت - والالان لما يعلم بعد - ان المدينة الانسانية جاءت حاملة بين اذلالها اسباب فتنها . وجمع حكاية الحيتين

حرب التفاني

كانت الحدأة مطلة من عثماني في الشجرة فأبصرت أفعى نحتها تتحين الفرصة للتعلق على الشجرة وغزو فراح ذلك المشي . فالحدأة ربطت جأفها وقالت للأفعى : أطلقك حديثاً العهد في هذه الناحية يا هذه والآن لما جئت الى هنا لأن أفعى أخرى سبقتك وغزت جميع المشوش التي يمكن الوصول اليها . فليتك تسيرين النهر الى المير الآخر حيث تستقلين بذلك المنطقة البكر وحدك فهي غضة الأشجار . وأشجارها ملأى عشوشاً . أظير الى هناك وأرشدك الى حيث يكثر سيدك . فتبعيني عبر النهر .

فشكرت لها الأفعى هذه النصيحة وقالت : أخاف أن أتم قبل أن أصل الى الشاطئ . الآخر فقال لها الحدأة : أرافقت فوق الماء فكلمنا شعرت بتعب لاذريني فأمسك ذلك بمنقاري وأجرك مسافة ترعاهن فيها .

وما بلغت الأفعى الى الشاطئ حتى كان التعب قد أهلكها ، وأما الحدأة فالتفت أن جادت أذراجها وقصدت الى الأفعى المستوطنة في الغابة الأولى وقالت لها : - أود أن أقدم لك خدمة جليلة جزاء عنوك عن عشي .

فالتفت الأفعى الأخرى : ماذا ؟

قالت : اسرعي عبر النهر الى الغابة الأخرى حيث قد صيرت اليد أنني أخرى غريبة لكي تستعم بالمشوش التي فيه . ولعلها وصلت مشهورة القوي لأنها ضعيفة وصغيرة . وأما أنت فتسليعين أن تسبقها ونظريتها وأنا أساعدك كلما تعبت فأمسك ذلك بمنقاري وأجرك الى أن تبغني الى الشاطئ .

- شكراً . على بركات الله .

وكان ما اتفقنا عليه . والتفت الأفعيان عند الشاطئ . ولما وضعت العين على العين وثبتت كل منهما على الأخرى ثم التفت كل منهما على الأخرى فأغررتين شدتبعها فقالت هذه لتلك : دميني . هذه منطقتي

- بل هي منطقتي . وأنت دخيلة هنا . ترجعين من حيث أتيت . أو آكلك قبل أن

تأكلني رزقي .

وفي الحائل أمحلت أحداها عن الأخرى وطنت كل منهما تلعب ذيل الأخرى فأصبحنا
كثاها كدائرة . وما زالتا تبنتان كل منهما الثانية والدائرة تضيق إلى أن صارت الدائرة
نقطة . ثم اختفت النقطة إذ اختفت كل منهما في بطن الأخرى . ولم يبق شيء منها .
وكان نسر فوقها يشاهد هذه المعركة الغربية إلى نهايتها الصعبة ، فالتفت إلى الحدأة
إذا كانت تشاهد المعركة على شجرة أخرى وقال لها ، لقد خدعتني يا مكرة إذ دعوتني
لوليمة على أشلاء هاتين الأنمين . ولكن انتهت المعركة بفاتهما جميعاً . كيف يمكن هذا ؟
فالت الحدأة : لو لم أشاهد معارك تنتهي بمثل هذا الفناء لما حرصت الأنمين على
القتال :

— كيف ذلك ؟

— ألا ترى معركة البشر الآن تنتهي بالفناء . فإذا كنت تنظر أن تغذي من أشلاء
قتلى الناس شبيب أملاً . الأفضل أن نجد لنا يا صاحبي مسترزقاً آخر .

قال التامك : هذه حقيقة عرفها الطائرات ولم يعرفها الانسان —

هكذا انتهت معركة الحيتين كما تنتهي حروب هذا الزمن بالفناء لا غالب ولا مغلوب .
والسبب فيها هو غرور آلهة العصر الذين تأفروا وسيطروا على سداجة الجماهير .
قلت : يقولون ان الحروب لازمة لتوازن بين دائرة العمران وتكاثر السكان حتى
إذا ضاقت الدائرة وازدهم فيها السكان خففت الحروب هذا الزحام .

قال : عدواً . هذه نظرية . لله ما أسخف عقل قائلها . الرزق مرفور للإنسان أكثر
منه للحيوان . والعلم الحديث يستطيع أن يحول صخور الجبل إلى بشر ما دامت هذه
الصخور تحتوي على الكربون ، وهواء الجو يحتوي على الأوكسجين والكربون والنيروجين ،
وماء البحر يحتوي على الأوكسجين والهيدروجين ، وسطح الأرض لم يزل يبع ويفضي عشرة
أضعاف ناسها . وعلم الكيمياء يستطيع أن يتدع من هذه المذكورات أحياء يفذي
بعضها بعضاً

فوجت برهة وأنا أفكر وهو يلقي نظرة على مزرعته إلى أن قلت : لله ، أمان وسيلة
رد هذا الانسان الأحمق إلى عقله وسوابه وتفكيره بيلاب الحروب ، عسى أن يتوب عنها
ويعدل إلى السلام بنظام مادل ؟

قال : يشهر أن الآلهة الصالحين يشومان اصلاح الجنس البشري الآن . فأليك خبر ماذا
كان من مؤثرهم بهذا الشأن .